



مذياع ... !

سوف لا تضحك يا قارئ من هذا الذي أكتب ، بل أنك ستتحمس أشد التحمس مع قوم انقلبوا جميعاً على الرغم مما كانوا فيه من ألم وعذاب وضعت من أكبر التحمسين . وحسبك أن تعلم بادي الأمر أني أنا الذي طالما تفككت بكل من يتحمس وضحكت مله نفسي قد بت في الحفاصة أشد الناس أجمعين !

هذا شاب يضطجع على سرير ، بيده مجلة ينظر فيها وقد لمح منظاري على غلافها بعض الصور المفرقة في الجوف والفتنة ، وبجانبه مذياع لا يبعد عن أذنه إلا بقدر ما بين عينيه والمجلة ، والمذياع يرسل صوته كما لو كان في مقهى من أشد المقاهي جلية وصخباً ، وصاحبنا يقرأ ويسمع ويتمتع بالجمال الماري ناظريه لا حرمه الله منهما ولا حرمه من ظرفه وأناقته وحسن ذوقه - كما يتمتع بالموسيقى واللحن الصاحب أذنيه .

واملك تقول وما ذا في ذلك من غرابة ؟ وما ذا فيه من بواعث التحمس حتى تستمدى عليه القراء على هذا النحو ؟ ألا فاعلم رعاك الله ووقاك سوء وجنك وإلانا مواطن التحمس أن هذا الشاب الظريف كان يضطجع على سرير في أحد المستشفيات ، إلى الله في مستشفى يحيط به في الحجرات المجاورة مرضى منهم من يتلوى على سرير من فرط ما به ، ومنهم من يطلب غفوة تنقذه من عذابه ، ومنهم من اشتد به الصداق حتى أذهله عما بقي من صوابه ، ومنهم من يترأى له شبح الموت في كل شيء ، ومنهم من يطلب الهدوء حتى ليتضجر من وقع أقدام ممرضته أو من مجرد فتحها باب غرفته وإنها لتتنقل كما ينتقل الخيال في الحلم !

والمذياع يجلجل صوته بكل ما هب وما دب ، وقد أحضره هذا المريض الظريف ، شفاه الله ، من بيته ، وكانت حجراته لسوء حظ هؤلاء الساكنين من حوله في مفرق الطرفين من ممرات المستشفى ، وكان بابها مفتوحاً إلى آخر ما يفتح ، كما كان صوت مذياعه بالتأ في الارتقاع آخر ما يمكن أن يرتفع .

وضج المرضى أرواحهم من يستطيع منهم أن يمتج ، أما الذين برحت بهم الأوصاب فكانوا يتململون من هذا الطرب المفاجيء

الذي نزل بهم فإذا هو يضاف إلى ما يلاقون من ألوان العذاب ! وغمرت أيديهم الأجراس ، وهي من نوع على الصوت ، فأضيق نفائسها إلى نفثات المذياع ، واختلط بهذا كله استنكار الزائرين واستغاثة بعض من استطاءوا المشي من المرضى ، فهذا يصفق يديه ، وذلك يتسخط ويتكره ويستعيد بالله ، وذلك ينادي المسؤولين ؛ وتألقت من أولئك جميعاً ضجة إن يكون فيها بصور الخيال أشد منها نكراً ولا أبغض نشوراً .

كل ذلك وصاحبنا لا يكثر لشيء ، كأنه وحده في البحر أو في الصحراء . وطرقت الباب استأذن عليه ، ودخلت الحجرة فنظر إلى مستفهماً بهزات من رأسه المضطجع على الوسادة ، فوقع في نفسي أنه ثقيل السمع فهو لذلك يعلى صوت المذياع ، ودنوت منه ورفعت بالكلام صوتي فحبس صوت المذياع واستمع إلى ، فرحوت منه وأنا أدعوه بالشفاء أن يفض من صوت مذياعه رحمة بالمرضى وبخاصة مريض كنت أعوده وقد اشتد به الألم ولا يفصل بينه وبينه إلا جدار الحجرة الرقيق .

ونظر إلى مستنكراً - كما فهمت - تطفلي وتهجمي على حجرتي واعتدائي على حرمتي ، ولم يزد على أن أدار مفتاح مذياعه فأعاده أشد مما كان إن كان فيه فضل لزيادة !

ونظر في صحيفته كأن لم يكن أمامه أحد ! وللقارئ أن يتخيل نفسه في موضعي ، ثم لينظر مبلغ ما في نفسه من تحمس حتى لجرد هذا الخيال ! لقد فكرت أن أنتزع المذياع من مكانه فألقي به في الحديقة ، ولو أنني فعلت ذلك ما فتأ ما كان في نفسي من غضب . على أن مدير المستشفى قد جاء بعد ساعة فأمر بانتزاع هذا المذياع وحرم دخوله إلى حيث كان ... وكفى الله المؤمنين القتال ... نحن لمعرك ولمعري أيها القارئ قوم كثير الميوب الاجتماعية ، ولتتحمس ما شئت إن أنكرت مني هذا القول ، وأكثر هذه الميوب ذبوعاً وأرذلها فيما أرى وفقاً عدم مبالتنا أو ما أسميه على التحديد عدم اهتمامنا بالغير ، ما دمتنا قد أرضينا أنفسنا ، وما نظن أن في الأمر من هم مثلنا في عدم الاهتمام بالحيط الاجتماعي ، ولما نعتي بما نقضى به اللياقة أو قلنا نطقن إلى أن هناك شيئاً يدعى اللياقة . أقول هذا وليغضب القارئ العزيز ما شاء له غضبه ، فأنا متحمس كما ذكرت على غير عادتي ، وإن كنت ضناً بصحقي أدعوا الله مخلصاً ألا يريني بعد اليوم ما يمود بي إلى مثل هذه الحفاصة !

الحفيظ